مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11 / العـــدد: 02(2023)، ص: 974-1001

سؤال إبداعية المفهوم وأطر توظيفه في الفكر العربي المعاصر

The question of the creativity of the concept and the frameworks for its employment in Arab thought

لاكلي حنان [1]

[1]جامعة زيان عاشور بالجلفة (الجزائر)، laklihanane@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/02/21 تاريخ القبول: 2023/09/11 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص: يعتبر المفهوم ولا شك، اللبنة الأساسية التي تتكوّن منها مختلف الحقول المعرفية، مما جعل الاهتمام بالمفاهيم يحتل مركزا هاما في الأبحاث العلمية والاجتماعية والإنسانية لما لها من دور في ضبط التعامل في الحياة اليومية والعلمية، وفي بناء النظريات والمناهج والنماذج في الحياة العلمية ويتجلّى هذا الاهتمام في مناحي الحياة الجامعية المتعددة وفي المعاجم والكتب المختصة، ولهذه الأهمية هدفت ورقتنا البحثية الي تسليط الضوء على هذا المصطلح من حيث تاريخه والتصورات المختلفة التي تناولته بالدراسة والتحليل ، وقد توصلت الدراسة الى وجود الكثير من القصور واللا فهم في ادرا ك أهمية المفهوم ودقته في الاعمال العلمية حيث يحيط بالمصطلح عندنا سلطة قمعية ذاتية تؤدي الي عدم فهمه الا من طرف نخبة النخبة وبذلك لا تتاح المفاهيم والمصطلحات للمجال العلمي والمتعلمين.

كلمات مفتاحية: المفهوم ، الحقول المعرفية ، النظريات ، المعاجم ، التصورات.

Abstract: The concept is, without a doubt, the basic building block of which the various fields of knowledge are composed, which has made interest in concepts occupy an important position in scientific, social and human research because of their role in controlling dealing in daily and scientific life, and in building theories, methods and models in scientific life. The

multiple aspects of university life and in the specialized dictionaries and books, and for this importance our research paper aimed to shed light on this term in terms of its history and the different perceptions that dealt with it in study and analysis. We have a self-repressive power that leads to being understood only by the elite of the elite,Thus, concepts and terminology are not available to the scientific field and learners.

Keywords: The concept, the various fields of knowledge, theories, dictionaries, perceptions.

***المؤلف المرسل:** لاكلي حنان

1. مقدمة

عُرف الإنسان منذ بدايات وجوده بنزوعه لفهم العالم من حوله؛ من خلال ما يصادف من تعاملات مع الأشياء والمدركات الحسية الخارجية، إضافة إلى تأثير المواقف والخبرات التي يتعرض لها، لذلك فقد لقي آدم -حين خلق تأكيدا لأهليّة الخلافة على الأرض- حظّه من تعلّم أسماء الطبيعة من حوله، وكل ما يتعلّق بحيثيّات وجوده التي يواجه بها حياته البدائية كما عرفها آنذاك، والتي كانت تستلزم معرفة الأشياء بمسمّياتها لتصنيفها، والتمييز بينها، **قال تعالى:**﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا**﴾ (البقرة، لآية 31)، فكانت تلك أولى قضايا الاهتمام بمسألة اللّغة في إطار المفهوم كماهية بسيطة، يسعى الإنسان لرصد المقارنات من خلالها بين الأشياء بفهم جزئيات الأمور وضبط معطياتها وفق خصائصها المشتركة. وبازدياد نمو معارف هذا الإنسان؛ ازدادت قدراته وحاجته إلى اكتساب مساحة معلومات أكثر اتساعا مما سبق، ليتسنى له من خلالها رؤية العالم من حوله قصد تفكيك الرموز المعقدة بشكل دقيق ومقنع، بما في ذلك وجوده هو في حد ذاته، وهو ما منح لمقصده ذاك اهتماما **بتوجيه فكره نحو التجريد والتفلسف، فقد شكّل مفهوم الوجود : "البداية الأولى للنظر الفلسفي، فاللحظة التي استيقظ فيها**

الوعي ليدرك فيما وراء تعدّد الوجود واختلافه؛ وحدة الوجود ...الخ، هي كذلك اللحظة التي انبثقت فيها هاته الطريقة الفلسفية الخالصة في النظر إلى العالم" (وعزيز، 1989).

2- التصور الايثمولوجي والفلسفي للمفهوم : نظرا لأهمية المفاهيم في مختلف العلوم وتأثيرها **في اتجاهات البحوث العلمية ونتائجها يركّز هذا الاتجاه التصوري على : التفرقة بين الكلمة، والفكرة، والمفهوم المجرد، والمصطلح، وتنوّع استعمالات المفاهيم في الفلسفة العامة، وفي الإبستمولوجية العامة والخاصة.."** (مفتاح، ، 1999، صفحة 5) وغيرها، وهو ما دفعنا إلى الإمعان في التنقيب عن شروط الاعتناء بالمفهوم داخل المنظومة الفكرية العربية والأجنبية كجزء من منهج الدراسة وأداة له، نحاول من خلالها توضيح دلالة المفهوم وضبط معناه- رغم صعوبته الناتجة عن التداخل المعرفي الذي يعرفه مدلول المفهوم ذاته، وتباين معانيه في تاريخ الفكر الإنساني عموما والفكر العربي بخاصة- وذلك تفاديا للوقوع في عقبات معرفية أثناء الدراسة، والاقتراب ولو بشكل بسيط من الدقة العلمية والموضوعية التي نتوخاها في البحث . فما المفهوم؟ وما أبرز المقاربات المعرفية التي تشاركه المعنى؟ وما علاقة المفهوم بالفلسفة؟..

بداية، ومع التسليم بأن غالبية المفاهيم لا تقبل تعريفا جامعا مانعا ومنها تعريف المفهوم؛ كان ولا بد مراعاة الجانب اللغوي للكلمة باعتبار أن : **"مفاهيم اللغة ليست سوى مفاهيم ابتدائية أي بدايات مؤقتة للفكر، وأن العلم نفسه لا يستطيع أن يستغني عن مساعدة اللغة ويلزمه في كل الميادين أن ينطلق من بداية المفاهيم"** (وعزيز، 1989). وعليه، فكلمة مفهوم في اللغة العربية هي من جذر **(ف.ه.م)**، وتدل على : **"معرفتك بالشيء بالقلب، فهمه فهما وفهاما (بكسر الفاء)، وفهامة علمه وتفهم الكلام، فهمه شيئا بعد شيء"** (محمد، 2009) وقد عرّفه **سيف الدين الآمدي El Amidi (ت 631ه)** في : **"الإحكام في أصول**

الأحكام "بقوله هو : "**ما فُهم من اللفظ في غير محل النطق**" (الآمدي، صفحة 03/74)والمفهوم على ذلك عملية تتم عن طريق القلب لا عن طريق الحواس باعتباره ثالث درجة من درجات السيرورة المعرفية بعد الإحساس والإدراك. وفي المقابل وبالنظر في القواميس الأجنبية نجد أن : "**لفظ المفهوم Concept في اللغات الأوروبية (تعود) إلى الأصل اللاتيني Conceptus والتي يرجع بدوره إلى العقل Concipere الذي من بين معانيه التصور والفهم، والمفهوم من حيث دلالته هنا يحيل على كونه نتاج تمثّل ذهني**" .A . Rey & Josette, 1985, p) (356.كما وردت في le petit Robert أنها عبارة عن : "**تمثّل عقلي عام ومجرّد لموضوع ما** كما قيل عنها في غير محل أننا : "**نعطي كلمة مفهوم لكل تمثّل رمزي من طبيعة كلامية له دلالة عامة ملائمة لكل سلسلة من الموضوعات المشخّصة، والمالكة لخصائص مشتركة**" (Dubois، 2013، صفحة 110) .وبالنظر إلى التعريفات السابقة نستنتج أن القاسم المشترك بينها يكاد يعبّر على أن المفهوم يحمل صفة العموم والتجريد في كل منها.

أما في الاصطلاح، فإلى جانب "**التصّور**" الذي أورده **أرسطو Aristote (322/384 ق.م)** من قبل كتعريف للمفهوم؛ فقد عرف المفهوم في الدراسات الحديثة بحسب **جميل صليبا jamil Saliba (1976/1902)** بأنه : "**ما يمكن تصّوره، وهو عند المنطقيين ما حصل في العقل سواء حصل فيه بالقوة أم بالفعل**" (صليبا، 1982، صفحة 403) وقد اتصل المفهوم بسياقات دلالية قريبة من اللفظ " **كالمعنى العام- Notion**". وحسب **أندري لالاند André Lalande (1963/1867)** فإن"**المعنى العام Notion بالفرنسية، وبالألمانية Gredanke vorstelling تستعمل في معناها الضيق المقابل لكلمة Begriff التي = مفهوم، بينما هي في اللغة الإنجليزية لها استعمالات كثيرة ومتنوعة، فعند باركلي مثلا تتعارض مع لفظة Idea أي فكرة، والتي يضيق معناها ليعبّر**

عن كل ما يُعرف في شكل صورة sous forme d'image، فيما تليق بحسب الهيجليين الإنجليز لترجمة المفهوم الهيجلي Begriff" (A.Lalande، 1968، صفحة 692)فاللفظة إذن – بحسب لالاند- هي موضوع المعرفة ولكن لا تحتمل بصفة مطلقة الموضوعات المجردة للمعرفة فقط، إضافة لكونها تطبق بصفة خاصة على المفاهيم. أما **بول فولكيي Paul Foulquiée (1983/1893)** فقد ذهب إلى اعتبار أن استعمال كلمة "المعنى العام" **notion**" تعني : "**تلك المعرفة الأولية التي نُكوّنها عن الشيء..فيما تعني في الفلسفة ضم الخصائص المشتركة الأساسية في الموضوع.. لينتهي إلى أن هذا المعنى العام notion مرادف للمفهوم concept"** (Foulqiée و Jean، 1962 ، صفحة 482)وقد بنى موقفه هذا بعد أن نسج مقارنة بين المفهوم والفكرة معتبرا أن الفرق الأساس بينهما يكمن في أن المفهوم موضوعي، فيما أن الفكرة ذاتية وقد قال : "**في حين أن يمتلك كل شخص أفكاره، فإن المفاهيم إنما تتميز بكونها لا ذاتية أي موضوعية بحيث أنني –بحسبه- قد تكون لي فكرة ما عن العدالة، مع أن مفهومها يُعدّ مستقلا عن المعنى الذاتي الذي أحمله عنها**". (Foulqiée و Jean، 1962 ، صفحة 112) .

وفي السياق ذاته، وبالنسبة للمناطقة العرب **: "فقد سموه الكلّي، أو المعنى الكلّي، أو المعنى العام، أو المعنى العامي، واكتفوا أحيانا باسم المعنى. يقول ابن سينا بعد أن ذكر الوحدة والكثرة والعلة والمعلول (وما أشبه هذه المعاني) ويطلقون اسم المفهوم على فحوى الألفاظ أو ما يفهم منها أي مجموع الصفات أو الخصائص التي يتكون منها المعنى العام، وهذا في مقابل الماصدق الذي هو مجموعة الأفراد التي يصدق عليها الكلّي، وبهذا الاعتبار نقول أن للمفهوم في استعماله الحديث مفهوما وما صدقا**". (طه، 1989)

2- مقاربة مفاهيمية: بالنظر لما سبق، ورغم ما تحدّد من توضيح لكلمة مفهوم، إلا أن ذلك - فيما يبدو- لن يكون كافيا في ظل المقاربات المفاهيمية التي قد تلجأ إليها اللغات، لا سيما اللغة العربية لثرائها في التعبير عن المفاهيم الجديدة بالمجاز والاشتراك اللفظي وغيرها من الوسائل الدلالية والصرفية لتأدية المعنى المطلوب، مما قد يشكّل نوعا من الالتباس أو الاضطراب في الفهم لدى المتلقي، ولعل أكثر الألفاظ تداولا إلى جانب المفهوم نجد كلمة : " **مصطلح**" التي قد يعدّها البعض مرادفة للمفهوم، فيما قد لا يرى البعض فرقا بينهما . فما المصطلح؟ وما حقيقة العلاقة بينه وبين المفهوم؟..

يشار للمصطلح : "**بلفظين هما الاصطلاح والمصطلح، ..ويقصد بهما الألفاظ التي تحمل دلالات خاصة متعارفا عليها بين طائفة معينة، في مجال أو حقل معين، إذ يختلف مدلول المصطلح من مجال إلى آخر**" (الزناتي، 2010، صفحة 336).

يعبّر المصطلح عن : "**كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية وتسميتها في إطار معين، تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معينة والمصطلح بهذا المعنى هو الذي يستطيع الإمساك بالعناصر الموحّدة للمفهوم، والتمكّن من انتظامها في قالب لفظي**" ومن خلال التعريف يمكن استنتاج العلاقة القائمة بين **المفهوم" Concept** "**والمصطلح "Terme"** والتي تختصر التداخل بينهما، من حيث أن المفهوم لا يتحقّق وجوده المادّي واللغوي إلا من خلال المصطلح الذي ينقله من الوجود الذهني المجرد الكلّي إلى الوجود الجزئي، ليمنحه بذلك بعدا تداوليا يصلح لفهم العلاقات بين الأشياء : "**وثمة تعريفات حديثة تربط المفهوم بالمصطلح الدال عليه منها : المصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصّصة (علمية أو تقنية ..الخ) يوجد موروثا أو**

مقترضا ويستخدم للتعبير بدقة عن المفاهيم، وليدل على أشياء مادية محدّدة، وهذا التعريف يجعل المصطلح غير مقصور على الكلمة المفردة، فالمصطلح قد يكون من كلمة أو مجموعة من الكلمات" (الزناتي، 2010، صفحة 336)ولتوضيح أكثر حول العلاقة القائمة بين المفهوم والمصطلح؛ يمكن الإشارة إلى أنه : "**ولكي يكتسب المفهوم وجوده اللغوي لا بد من تأطيره وتسميته لكي يتحدد في عالم التواصل اللغوي والمعرفي، ويقوم بهذا التأطير والتثبّت دال يُعرف بالمصطلح"** (حسن، 1989، صفحة 84) مما يعني أن المفهوم في تركيزه على الصورة الذهنية، يركّز المصطلح في تلك الأثناء على الدلالة اللفظية للمفهوم مما يجعل المفهوم أسبق من المصطلح، وعليه؛ فإن كل مفهوم مصطلح وليس العكس صحيحا.

3- جينيالوجيا المفهوم : لقد اكتسى النقاش حول ماهية المفهوم في تاريخ الفكر عامة، وداخل المنظومة الفلسفية بخاصة أهمية بالغة، إذ لا مجال للحديث عن ممارسة فلسفية من نقد ومساءلة وشك وغيرها بعيدا عن إطار هذا المفهوم، على اعتبار أن: "**الإدراك يقتضي وجود مفاهيم أو معاني عامة، وبدون مفاهيم تكون المعرفة مستحيلة، فنحن نسير نحو الأشياء مسلّحين بعلامات، وأن كل نتاجات الثقافة من لغة وأسطورة وفلسفة ومعرفة علمية تندرج على اختلافها في إشكالية عامة واحدة، وتبدو كمجموعة من المحاولات من أجل تحويل العالم السلبي عالم الانطباع إلى عالم يعبّر عنه الفكر**". (وعزيز، 1989) فالمفهوم باعتباره نشاطا أساسيا في التفكير الفلسفي ومدخلا رئيسا لتأسيس الخطاب؛ لم يتردّد الفكر اليوناني في الأخذ بأسبقية الخوض في مجال المفاهيم لكونها نتاج معرفة متطورة تاريخيا إذ : "**لا يوجد في تاريخ الفلسفة نظرية لها مثل المكانة الكبيرة التي شغلتها نظرية المفهوم، وهي المحور الذي دارت حوله الفلسفة مع السوفسطائيين وسقراط، وترجع فلسفة أفلاطون في نهاية التحليل إلى نظرية**

المفاهيم وما بينها من علاقات واحتواء بعضها على بعض بالتبادل، ولا يختلف مذهب أرسطو من ذلك - فيما يبدو- وتقوم فلسفة ديكارت الميكانيكية على نظرية في المفاهيم التي أحلّها محل الكليات المدرسية". (وعزيز، 1989)

لقد أُتّخذت المفاهيم في الفلسفة عموما واليونانية بخاصة كنسق منظم لمعالجة معظم الإشكالات في مجال نظرية المعرفة والميتافيزيقا وغيرها، وكعنصر رئيس لا يمكن الاستغناء عنه: "**ولم يخف على الفلاسفة قبل سقراط أن الفروض الفيزيائية تقتضي علاقة بين بعض المفاهيم مثل الوجود والصيرورة والواحد والمتعدد والسكون والحركة، وقد انحصرت الفلسفة أوّلا في النظر في الطبيعة ولكنها بتقدّمها مالت إلى أن تصبح جدلا أي علما بالمفاهيم، وأن السؤال الجديد المطروح هنا هو بشأن العلاقات التي يقيمها علم الطبيعة بين هذه المفاهيم أي هل هي علاقات معقولة؟**". (وعزيز، 1989) لقد عمد السوفسطائيون لهدم أسس الفكر ومعطياته من خلال أسلوب السفسطة أي: التلاعب بالألفاظ الذي عُرفوا به، إذ خلطوا بين المفهوم واللفظ واعتبروا أن :"**عدم يقين الألفاظ لا يدل إلا على عدم يقين الفكر، وبما أنه لا حقيقة موضوعية فلا ينبغي البحث عن تراتب المفاهيم وخضوع بعضها لبعض. إن السوفسطائي لا يراعي علاقات المفهوم، ولذا تتعارض المفاهيم بحكم انعزالها أقوى تعارض**" (وعزيز، 1989) إضافة إلى قولهم بالمعرفة الحسية، وقد أعاد سقراط **Socrate (399/469 ق.م)** للتصورات العقلية مكانتها في الفضاء الفكري والمنطقي، وحدّد معاني الألفاظ، وبيّن العلاقات التي تقوم بينها وذلك حين أثبت الحقائق الخارجية من خلال اهتمامه بالمدركات العقلية التي تنشأ من خلالها المعلومات في الذهن بدلا من لزوم اعتماد الحواس. أما أفلاطون **Platon (347/427 ق.م)** فإن: "**ما استخلصه تحت اسم المعنى كان موجودا كمبدأ ملازم لمحاولات التفسير السابقة عند الإيليين، ولدى أتباع فيثاغورس أو**

ديموقريطس، ولكن أفلاطون كان أول من أحس بهذا المبدأ كمبدأ وبدلالته وهذا ما أراد أن يقدّمه للفلسفة. لقد نظر السابقون على سقراط إلى الوجود وهو في صورة منفردة نقطة انطلاقة مضمونة ..أما أفلاطون فقد اعتبره لأول مرة كمشكل، إذ لا يتعلّق الأمر بأن تعرف كيف ينتظم الوجود دوما..بقدر ما يتعلق بالسؤال عن مفهومه وعن دلالته هذا المفهوم ..وأن التفسير الجدلي أن تبرز ما للوجود من دلالة فكرية." (وعزيز، 1989)

إن الحديث عن المفهوم الفلسفي وتطوّره عبر الزمن يجعلنا نستحضر صورته التي ورد فيها : **"فقد دخل المفهوم في تاريخ الفلسفة أول مرة في صورة سؤال، بل إنه يظهر عند سقراط الذي اعتبره أرسطو مكتشف المفهوم العام نمطا من اللاّمعرفة أكثر مما هو نمط جديد من المعرفة، وتكمن قيمة المفهوم في فتحه لمنظور جديد يضمن للمعرفة نظرة شمولية جديدة إلى مجموع معقّد من الأسئلة."** (وعزيز، 1989) ومع تطوّر الفكر وتحديدا مع الفلسفة الغربية الحديثة بات من الضروري القول إنه : **"لم يعد من الممكن بعد كانط على الخصوص أن نصف المعرفة بأنها جزء من الوجود أو نسخة منه، وإنما أصبحنا نعتبر أن وظيفة المعرفة هي أن تبني الموضوع..(ولعلّ) أهم مكتسبات نقد العقل الخالص أنه صاغ مشكلة العلاقة بين المفهوم والموضوع في ألفاظ جديدة تماما، فمن نسخة بعيدة وباهتة من واقع مطلق وجوهري يصبح افتراضا سابقا على التجربة وبالتالي شرطا لإمكانية موضوعاتها."** (وعزيز، 1989)

4- المفهوم وتدعياته في العلوم الإنسانية والاجتماعية تكفّلت الفلسفة منذ بواكير ظهورها وتطورها باحتضان جل أنواع التفكير الإنساني، ومجمل المواضيع المتعلقة بوجود الإنسان في هذا العالم، فتجزّأت اهتماماتها ما بين علوم عقلية نظرية : كالمنطق والرياضيات، وعلوم عملية : كالأخلاق والسياسة، إلى جانب

نظرية الوجود والطبيعيات، ومع تطوّر العلوم وتداخل احتياجات الإنسان الفكرية والمعرفية ومع القرن السابع عشر تحديدا؛ أخذت بعض العلوم موضعها الجديد باستقلالها عن أم العلوم وعن منهجها التأمّلي بتبنّيها لمناهج جديدة مغايرة تقوم على الملاحظة والقياس والتجربة، فكانت أن تميّزت الرياضيات والعلوم الطبيعية وتعزّز مقصدهما العلمي والمعرفي في القرنين الثامن والتاسع عشر، وبدا تأثيرهما على باقي المجالات الأخرى واضحا من خلال محاولة الكثير من العلوم الأخرى خوض التجربة ذاتها في الاستقلال والأخذ بالمناهج العلمية والرياضية، لا سيما تلك التي توصف بكونها تتّصل بمواضيع تخصّ الإنسان والمجتمع (كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وغيرها)، الأمر الذي أثار وما يزال يثير الكثير من الجدل في إمكانية إعطاء صياغة مفاهيمية موضوعية علمية دقيقة، تتلاءم والظاهرة الإنسانية والاجتماعية التي كانت في عهد قريب لا تخرج عن إطارها الفلسفي التأمّلي، إذ بات : "**يثير موضوع واقع العلوم الإنسانية والاجتماعية في الفكر العربي المعاصر إشكالات نظرية وتطبيقية متعددة، بعضها يرتبط بأسئلة المعرفة العلمية في الثقافة العربية والمجتمع العربي، وكثير منها يتّصل بنوعيات الممارسة العلمية كما تجري في الجامعات ومراكز البحث العلمية العربية.**" (كمال، 2007) ولعل قيمة المفهوم ومحوريّته داخل الفكر الفلسفي عموما، والفكر العربي المعاصر بخاصّة باعتباره جزءا من ذلك الفكر الإنساني؛ يحيل ضرورة إلى التمييز بين المفهوم العلمي والمفهوم الفلسفي للتعرّف على طبيعة الحوافز المعرفية التي تساهم في إنتاج مفاهيم كلا المجالين، وتحديد سبيل التوافق بينهما لتجنّب الكثير من العوائق التي قد تُعطّل مساعي البحث عن الحقيقة : "**إن تعريف المفاهيم تعريفا دقيقا هو المهمة الأولى للمعرفة العلمية وكذلك المعرفة الفلسفية، والمفاهيم العلمية وإن كانت نتيجة لتجارب فإنها تطرح بواسطة تعريفات إجرائية، أي أنّها تعرف بطريقة منظمة وقابلة للتكرار،**

وتسمح بالوصول إلى هذه المفاهيم وقياسها، فلا يستعمل المفهوم إلا في المعنى الذي يعطيه له التعريف الإجرائي، ويجب إذن تخليصا لمفهوم من كل المضمرات والارتباطات التي يُذكر بها اسمه عند ما تمّ اقتباسه من ميدان تجريبي آخر." (وعزيز، 1989)فميزة التفكير العلمي ارتكازه على مفاهيم دقيقة واصطلاحات علمية معبّرة، يُفترض لصاحبها عدم التكليف والتصنّع بالاشتغال على ألفاظ تحمل أكثر من معنى، وذلك تفاديا للانزلاق وراء الاحتمالات والأخطاء التي شاعت قبل أن يطبّق **"جاليلي جاليليو Galilée.G" (1642/1564)** لغة الكمّ الرياضية في علم الفيزياء للتعبير عن الظواهر الطبيعية. إن : **"تمديد المفهوم وتوسيع مداه من أكثر العمليات خصبا في العلم؛ فمفهوم الطاقة في الميكانيكا والمجال في كهرطسية "فاراداي" وماكسويل" مثلا من المفاهيم التي تطبق في كل مكان، وإن كان هذا التوسيع والتجاوز لا يخرجان أحيانا عن الاستعمال الرمزي أو اللفظي المجرد إلا أن هذه الجرأة كانت مثمرة، وكانت في بعض الحالات خير هاد في سبر أغوار قطاعات جديدة من الواقع"** (وعزيز، 1989) فالمفهوم العلمي يتميز بفاعليته من خلال تفسير الظواهر والتنبؤ بها. وإضافة لما سبق؛ فإن ارتباطه بالتطور التاريخي الإيبستيمولوجي يجعل : **"من بين المفاهيم والظاهرات علاقة متبادلة، وتكشف الفيزياء في تقدّمها مستويات من الواقع بعضها أشد عمقا من بعض، وبذلك تغيّر ما نستعمله من مفاهيم "فالفوتون" مثلا يفسّر الظاهرات الضوئية، وهذه الظاهرات تفسّر ما نفهمه من الفوتون، وتقوم النظرية بالربط بينهما لأنها تُعرّفنا بالظاهرات، وتتغيّر المفاهيم بتغيّر العلاقات التي تحدّدها النظرية، فقد تحول مفهوم المادة مع النظرية الذرية ومفهوم الكتلة ومفهوم الكتلة مع النظرية النسبية."** (وعزيز، 1989).

تتميز المفاهيم في العلوم الإنسانية والاجتماعية عموما وخلافا لما سبق من معطيات الخصائص التي أخذها حيّز التفكير العلمي بميلها إلى الغموض وعدم

الدقة لتعدد استعمالاتها ومرونتها، مما يؤدي إلى الالتباس في أحيان كثيرة وإلى التعقيد الذي يتعذّر به إصدار أحكام قيمية عن الظاهرة المدروسة لارتباطها أساسا بالإنسان وأحواله المتغيرة . وبتوجيه النظر إلى المفاهيم في التفكير الفلسفي تحديدا يمكن أن نشير إلى أن : "**الفلسفة كنمط من المعرفة تقوم على مفاهيم لا على تأثيرات أو صور، ويشهد التراث منذ القديم بذلك؛ (فالمعنى) الأفلاطوني و(الطبيعة) الأرسطية و(الامتداد) الديكارتي.. و(المتعالي) عند كانط كلّها مفاهيم وإن لم تكن بمعنى أخواتها العلمية التي تمّت تنقيتها. فلا توجد في الفلسفة مفاهيم نظرية بالمعنى المقصود في إيبستيمولوجية العلوم الفيزيائية، لأن المفهوم الفلسفي إذا لم يحل على وجود يعيشه يكون مفهوما غريبا أو مستوردا**" (وعزيز، 1989) وفي إطار تتبّع عمليّة تكوين المفهوم في الفلسفة، فمن اللازم منهجيا توجيه الفكر نحو بعض ما أشير إليه من منطق تشكيله أي : "**بلغة هوسرل ينبغي أن نمسك ابتداءً بالحوافز التي تؤدي إلى ابتداع المفاهيم، ولإبصار هذه الحوافز وللإمساك بعملية تكوين المفهوم نتساءل في البدء : لماذا المفاهيم ؟ ما الضرورة الدافعة بالتفكير الفلسفي في اصطناعها ؟..**". (بوعزة، في مفهوم المفهوم ومحددات المقاربة المفاهيمية، 2020)لا شك – كما سبقت الإشارة- أن الفلسفة في أصلها إنما تنطلق من المفاهيم، غير أنّها مع ذلك قد لا تقف عند هذا الحد من البداية لخطابها بل هي : "**تشكّل أيضا نقطة وصولها، ولا أقصد- يقول الطيب بوعزة- بهذا أن منتهى التفكير الفلسفي هو صوغ المفهوم وتحديد دلالته، فالمفهوم يكون في كثير من الأحيان أداة من الأدوات الإجرائية للفيلسوف، ولكنّي أقصد أنّنا لو تتبّعنا سيرة بعض الفلسفات وتأمّلنا صيرورات تفكيرها فسنجدها بعد تفكيكها لإشكالية من الإشكالات ونقد الرؤى والمعالجات المقترحة لها سابقا، تقترح حلّها وتكثّفه في جُسيم مفهومي يكون استحضاره لموقفها من الإشكال**" (بوعزة، في مفهوم المفهوم ومحددات المقاربة

المفاهيمية، 2020)فقيمة المفهوم الفلسفي في حيويته وصيرورته الدائمة التي لا تتحقّق إلا باتصاله بباقي المفاهيم الاستشكالية القابلة لوضعه في إطاره الفلسفي الصحيح: "**إن إنتاج المفاهيم والاهتمام بها والاحتراس من التباس الدلالة وانزياحها والحرص على ضبطها ضبطا دقيقا واضحا متميزا من قبل الفلاسفة؛ يرجع إلى استشعارها خطورة اللغة وانزياحها الدّلالي والتباس معانيها.. ومن ثم فإن الحديث عن ضرورة المفهوم يُحيل على الموقف الفلسفي من اللغة .**" (بوعزة، في مفهوم المفهوم ومحددات المقاربة المفاهيمية، 2020) مما يؤكّد أن أهمية المفهوم في الفلسفة لا يقتصر فقط على كونه أسلوبا لفهم متن النص الفلسفي بل هو أيضا يخصّ أسلوبا في التفكير ذاته، وهو ما يتطلّب وعيا كافيا للوصول لاستحضار دلالة مفاهيمية أكثر وضوحا، وفي سبيل ذلك لا بد من توسل: "**جملة إجراءات يختزلها (الفيلسوف) فريديريك كوساطا (Cossutta Frederic) في أربعة أساسية هي:ضبط دلالته، المرجع أو السياق الذي يحيل عليه، ضبط العلاقة أو العلاقات الرابطة بين المفهوم ومرجعه، وكذا القواعد التي تسمح باستخدامه على اعتبار أن المفهوم لا يوجد أبدا كمعطى مُسبق لمذهب فلسفي ما، بل حتى عندما يستخدم مذهب ما ألفاظا واصطلاحات معروفة فإنه في استخدامه هذا يعيد بناء (دلالتها) من خلال نشاط تفكيره الفلسفي**" (بوعزة، في مفهوم المفهوم ومحددات المقاربة المفاهيمية، 2020) وهو ما يُعدّ استثمارا فكريا يُكسب المنظومة الفلسفية جهازا مفاهيميا ثريا يُعتدّ به في مختلف الطروحات والنقاشات المعرفية على تنوعها.

شكل رقم 01: جهاز تنظيم المقاربة المفاهيمية

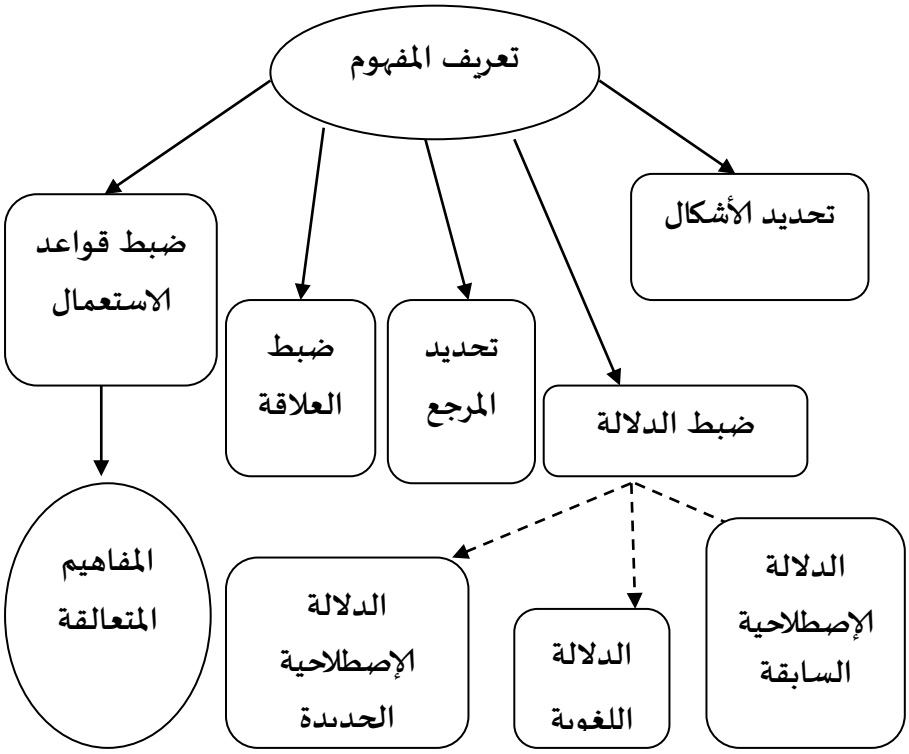

المصدر: بوعزة الطيب ،في مفهوم المفهوم ومحددات المقاربة المفاهيمية، مرجع سابق .

5- ما بين المفهوم والفلسفة من ارتباط :يُحيل البحث في مسألة إبداعية المفهوم إلى الفرضية الأساسية والإشكالية التي تدور حول أصل ما بين الفلسفة والمفهوم من ارتباط، وإذا كنّا قد أشرنا فيما سبق إلى طبيعة ماهية المفهوم، فإن استحضار النقاش في حقيقة مفهوم الفلسفة يبدو ضروريا لفهم العلاقة بينهما رغم ما قد يحيط المسألة من متاهة البحث والسؤال: "**فالفلسفة التي يبدو أسلوب اشتغالها حريصا على تحديد معنى الاصطلاحات والمفاهيم، ودلالة العلم والوجود؛ نجدها على الرغم من مركزية نزوعها نحو التحديد الدلالي (عاجزة) عن تحديد معنى لذاتها هي، إذ أن أهم الإشكالات المعرفيّة التي تميّز**

الفلسفة مشكلة تعريفها، ومن ثمّ فالسؤال المفارقة الذي لا بد أن يطرح هو: كيف تكون الفلسفة تخصّصا معرفيا يهتم أساسا بإنتاج التعريف عاجزة عن تعريف ذاتها؟ ثم كيف يستطيع الفلاسفة ممارسة الفلسفة وهم لا يعرفون ماهية ما يمارسون؟" (بوعزة، في دلالة إشكالية تعريف الفلسفة، 2015) إن مثل هذه الإشكالات وغيرها مما يجعلنا نجوب مناطق متعدّدة ومختلفة من فضاءات الفكر المتلاحقة، ولكن: "**سؤال ما الفلسفة؟..هذا السؤال قد أجاب عنه أرسطو وعلى هذا فقد يبدو حديثنا لم يعد ضروريا..وسيكون الرد الفوري على هذا قائما على أساس أن عبارة أرسطو عن ماهية الفلسفة لم تكن بالإجابة الوحيدة عن السؤال، وفي أحسن الأحوال إن هي إلا إجابة واحدة بين عدّة إجابات..ومع ذلك سيلاحظ الشخص بسهولة أن الفلسفة والطريقة التي بها أدركت ماهيتها قد تغيّرا في الألفي سنة اللاحقة لأرسطو تغيّرات عديدة"** (ماهية الفلسفة، 2013)مما استوجب تغيّر السؤال ذاته عن ماهيتها بعد أن أصبح هدف الفيلسوف لا يقتصر فقط على: "**حب الحكمة أو الذهاب إليها والبحث عنها بنفس الأدوات الذاتية، وفي نفس المناخ من الجهل الهائل بالمحيط الكوني وتجلياته الموضوعية كما كانت عليه الحال سابقا، إن الفيلسوف الآن بات مقيّدا بالكثير من المناهج والقوانين المنطقية والمعطيات اليقينية في إطار التراكمات المعرفية وتطبيقاتها التكنولوجية التي لا تترك مجالا للشك في مشروعيتها في هكذا ظروف، وأمام هكذا معطيات لم يعد تعريف الفلسفة متوافقا مع الدور الذي يمكن أن يقوم به الفيلسوف المعاصر، والذي يختلف كثير الاختلاف عن دور سلفه من العصور الغابرة."** (ماهية الفلسفة، 2013)

1.5.التصورات الفلسفية في الثقافة الإسلامية: في ظل التوضيحات السابقة، وفي محاولة خلق استطلاعات فكرية مناسبة لحقيقة مفهوم الفلسفة بما يلازم تطورها وخطابها، بات بالإمكان: "**التحرّك بسهولة في تاريخ الفلسفة بحثا عن تطور الأقوال في ماهيتها بهدف تسويغ النتيجة التي نستخلصها لأنفسنا، إلا أنّنا في حدود ذلك سنختصر الطريق ونتوقف فقط في الفلسفة الإسلامية عند تعريف الكندي للفلسفة، لما فيه من دلالات بالغة بالنسبة إلينا نحن الناطقين بلغة الضاد والساعين لجعل الفلسفة تنطق من جديد بلغتنا**" (نصار، 2015) في ظل المطالبة بتجديد الفكر العربي المعاصر واستقلاليته. يقول **يعقوب بن إسحاق الكندي** Y.B.I - Al kindi (873/805م) في مطلع كتابه إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى: "**إن أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة التي حدّها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان، لأن غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق وفي عمله العمل بالحق**" (الكندي، بلا تاريخ) وقد رسم بذلك معالم الفكر وثبّت دعائم الفلسفة من خلال رؤية واسعة لماهيّتها، فما مدلول ذلك وما قيمته النظرية والعملية؟.: "**يجري تعريف الكندي للفلسفة على خطوتين: يسعى في الأولى لإظهار الفلسفة من حيث الإنتماء إلى عالم الجهد الإنتاجي المنظّم الذي يتميّز به الإنسان، وعدم انتمائها إلى عالم الوحي أو عالم الإلهام أو عالم الخواطر أو عالم النشاطات غير المنتجة أو المنتجة بلا أصول أو قواعد**" (نصار، 2015)وهو في ذلك قد أعلى من شأن الفلسفة، مؤكدا على خصائصها التي تبرز جوهريتها في الكلية، فالفلسفة لارتقائها لا تطلب دون ذلك من الجزئيات غير المتناهية التي لا يحيط العلم بها. أما في الخطوة الثانية يؤكد الكندي على: "**طاقة الإنسان وماتختزنه هذه الطاقة من قدرات، فالمسألة في نظر الكندي هي إذن مسألة على الإنتاج المنظّم، وتالياً مسألة الطبيعة الخاصة للإنتاج الفلسفي. وهذا مهم جدّاً للدفاع عن شرعية**

الفلسفة والدعوة إلى الاشتغال بها. ولكن إذا كانت الفلسفة من عالم الصناعات الإنسانية، فما هو بالضبط موضوعها؟ وكيف تتناوله؟. جواباً عن هذا السؤال يأتي حدّ الفلسفة بأنّها علم الأشياء بحقائقها" (الكندي، بلا تاريخ)ففي ظل الخطوتين السابقتين استطاع الكندي التوفيق في تعريفه بين أهداف الفلسفة النظرية، والمتمثّلة في تكوين أحكام عقلية مطابقة لحقيقة الشيء، وأخرى عملية يرصدها سلوك الفيلسوف في التزامه بالقيم الأخلاقية الحقّة وفقا للعقل العملي.

وعلى ذلك وضبطا للمفاهيم والحدود فإن الكندي:**"لا يهتم بتمييز العلم عن الفلسفة، لا باعتباره جنساً تقع الفلسفة تحته، ولا باعتباره فروعاً تضمّها الفلسفة؛ بل يميل إلى نوع من الترادف بين العلم والفلسفة بوصفهما حصيلة لنشاط العقل. في رسالته المعنونة "في حدود الأشياء ورسومها"، يُعرّف العلم بأنه وجدان الأشياء بحقائقها ويعرف العقل بأنه جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها، وهذا مفاده أنّنا أمام موضوع واحد للعقل والعلم والفلسفة هو الأشياء بحقائقها"** (نصار، 2015). كما سعى للتوفيق بين الفلسفة والدين باعتبار أنهما -على السواء- علم الحق. وكحصيلة لما سبق فإن الكندي يعتبر أن مصير الفلسفة – كما علّق **ناصيف نصار Nacif Nessar (1940)** إنما يرتبط بمصير العلوم بحيث أنه **: "إذا استقل كل علم بنفسه فإما أن تزول الفلسفة، وإما أن تبحث عن موضوعها الخاص خارجا عن مصطلح العلم، وهذا بالضبط ما أنتجه تطوّر العلوم في الأزمنة الحديثة وصولا إلى أيامنا. لذلك، إذا كانت ماهية الفلسفة كما تصوّرها الكندي محكومة بضرورة تقديم تمييزها من الدين على تمييزها من العلم، فإنه يتعيّن علينا بعد أن اتّخذ العلم معنى وضعيّاً دقيقاً، وانفصلت العلوم تباعاً عن الفلسفة، أن نعيد بناء العلاقات الجدلية بين العلم والفلسفة، بالرجوع إلى مفهوم المعرفة الذي هو أوسع من**

مفهوم العلم، واتخاذ المعرفة بكل أنواعها موضوعاً للسؤال والتفكير" (نصار، 2015) وإن كان في ذلك بعض ممّا يحتمل النظر والنقاش على اعتبار أن : " **المعرفة عموماً، وفي كل نوع من أنواعها خصوصاً، لا يستغرق ماهية الفلسفة، لأن الإنسان يتطلّع بعقله إلى أجوبة عن أسئلة تتجاوز نطاق العلوم الوضعية، وهي -كما هو معروف في تاريخ الفلسفة- الأسئلة القصوى المتعلّقة بالإنسان والعالم والتي لابد من أن يكون التعاطي معها جزءاً لا يتجزأ من ماهية الفلسفة ."** (نصار، 2015)

2.5.في الفلسفة الغربية (الحديثة والمعاصرة): خُص التفكير الفلسفي منذ القديم ومع الفلسفة اليونانية تحديدا بعقلانية مشجّعة على النقد الذي يعكس حرية الفكر وتداول النقاش، وهذا النوع من الفكر رغم غيابه بشكل أو بآخر في العصور الوسطى الأوروبية فهو قد أعيد اكتشاف مفهومه مع عصر النهضة، التي ارتبط مجالها حينها بالثورة على خضوع تلك الفترة لسلطة رجال الكنيسة. وهو ما مثّل الاتجاه التنويري الذي أبدى "جاليليو" من خلاله أهمية القدرات العقلية للإنسان ليؤكد **ديكارت رينيه René Descartes (1650/1596)** كلامه ذاك بتأسيسه للمذهب العقلي ليعدّ حينها أب الفلسفة الحديثة، ورغم ما للّحظة التاريخية السابقة من أهمية؛ إلا أن وقفتنا ولاشك ستكون مع كانط لما قدّمته الفلسفة الحديثة من تصوّر دقيق لماهية الفلسفة الذي – كما نراه- يخدم إشكالية البحث السابقة باعتباره قد : **"حوّل ما كان صفة متفاوتة الحضور في الممارسة الفلسفية السابقة إلى صفة جوهرية، فأصبح النقد معه وبعده صفة ملازمة للعقلانية الفلسفية سواء أكان موضوعها المعرفة عموما أو أحد أنماط إنتاجها، أم كان العمل عموما أو أحد أشكاله. كما صار مفهومه للنقد أي البحث عن شروط إمكان المعرفة العلمية والعمل الأخلاقي علامة فارقة في تطوّر الفلسفة"**) نصار، 2015(ليدخل النقد بذلك ضمن السياقات المفاهيمية

البارزة التي ساهمت ولا شك بشكل واضح في سير الفكر الإنساني نحو بلوغ الحقيقة على مختلف مستوياتها، باعتبارها تتجاوز ذلك البناء اللفظي المعتاد بكونه مقرّا يحتوي كبرى المعاني والدلالات : "**وإذا كانت قد تصاعدت في اللحظة الفلسفية المعاصرة مع المناخ الفلسفي المشغول بأفكار نيتشه وبرجسون وهيدغر..أصوات تنادي الخطاب الفلسفي بأن يبدّل من آلياته وأساليبه المفاهيمية التجريدية الباردة، ليعانق أسلوب الخطاب الأدبي الشعري أصوات ترفض فلسفات المفهوم، فإن البعض إن كان يعترف بضرورة تجديد الخطاب الفلسفي وأنظمته في التفكير والكتابة، فإنه من جهة أخرى يتشبّث بشدة بالمفهوم، مؤكّدا قيمته وضرورته للخطاب الفلسفي**" (بوعزة، في مفهوم المفهوم ومحددات المقاربة المفاهيمية، 2020)وبين هذا وذاك، قدّم **جيل دولوز Gille Deleuze (1995/1925)** طروحات فلسفية تتأسّس على إشكالية تُعنى بتحليل معنى المفهوم داخل الحقل الفلسفي متّخذة في ذلك شكلا استثنائيا؛ وذلك حين جعل من سؤال الفلسفة شرطا لحصول المعرفة، رغم أنه لا يستوجب جوابا في نهايته لافتراض وجوده من قبل في تاريخ الفلسفة : "**فما انفك كل الفلاسفة يقومون به منذ ما قبل السقراطيين والحكماء السبعة، وهو لم يقم سوى بنفض الغبار عنه وتسليط الضوء عليه، لأن الفلسفة كانت وما تزال إبداع المفاهيم، وكل الفلاسفة اشتغلوا في حقل إبداع المفاهيم ومقدار الجدّة والريادة في الفلسفة تقاس بالتغيير الذي يطرأ على المفاهيم، فكل الأنساق الفلسفية تميّزت واختلفت باختلاف المعاني المعطاة للمفاهيم الجديدة التي أبدعها أصحابها، فسقراط مثلا هذا الذي لم يكتب -كما قال دريدا- هو الذي أبدع مفهوم Concept عندما تساءل عن مفهوم الفضيلة ما هو؟..كما أبدع ديكارت مفهوم الكوجيتو في الفلسفة الحديثة**" (خويلدي، 2007)...وهكذا فدولوز حاول العمل على بلورة نظرية تحمل رؤية خالصة لمهمة الفيلسوف

وحقيقة الماهية التي يشتغل عليها في مجال الفكر، مقدّما لها ضمن سياق جديد يكاد يخالف أغلب السياقات التي اهتمت بالاشتغال المفاهيمي في الفلسفات القديمة : "**لقد تميّز فعل التفلسف في السياق الثقافي الغربي كما هو معلوم منذ سقراط بنزوعه نحو الحد الماهوي، حيث كان مشدودا نحو الصناعة المفاهيمية بما هي اشتغال سيمانطيقي يطلب المعنى ويشدّد في نقد الاستعمال الدلالي الشائع، وقد أثمر هذا الاشتغال إرثا ضخما في المفاهيم الفلسفية حتى أن الفلاسفة أصبحوا يتمايزون ليس فقط بأفكار ورؤى، بل أيضا بنوع الدلالات التي يعطونها للمفاهيم التي يتوسّلونها للتفكير**" (بوعزة، الفلسفة وصناعة المفاهيم، بين أزمة المعنى والانشغال بإنتاجه وتوليده، 2017)ولم يكن هذا فحسب بل أكثر من ذلك إذ : "**كان البعض منهم يحرص على إفراغ المفهوم من مدلوله ليبطّنه معنى يشذّ به على نحو مخالف تماما ليس للاستعمال الشائع فحسب، بل حتى للسائد في الحقل الفلسفي ذاته.**" (بوعزة، في مفهوم المفهوم ومحددات المقاربة المفاهيمية، 2020)وتبعا لذلك فقد اختار دولوز الأخذ بالقول أن "**الفلسفة بتدقيق كبير هي الحقل المعرفي القائم على إبداع المفاهيم**" (غتاري، 1997، صفحة 30) متجاوزا في ذلك حدود السياق المفاهيمي القائم على التأمّل والفكر التي نسبت إلى الفلسفة وخصّت بهما دائما، فالفلسفة كما يراها دولوز : "**ليست تأمّلا ولا تفكيرا ولا تواصلا حتى وإن كان لها أن تعتقد تارة أنها هذا وتارة أنها ذاك..إن كليات التأمّل ثم كليات التفكير هما بمثابة الوهمين اللّذين عبرتهما الفلسفة سابقا عندما كانت تحلم بالسيطرة على المجالات المعرفية الأخرى (المثالية الموضوعية والمثالية الذاتية)..فالمبدأ الأول للفلسفة هو كون الكليّات لا تفسّر أي شيء، بل ينبغي أن تكون هي موضع تفسير.**" (غتاري، 1997، صفحة 31) إن تجربة التأمل -بحسب دولوز- تميل إلى الميتافيزيقا التي تبتعد في أصلها عن الواقع والتي قد تجعل من الفيلسوف لا يهتم

إلا بالعموميات التي تسوق إليها إرادة الهيمنة وتضليلات المخيّلة، وإلى جانب ذلك فقد اتخذ الفيلسوف موضعه في مشروع دولوز كما ينبغي أن يكون عليها وكما تصوّرها له وذلك حين اعتبره صديقا للمفهوم إذ : "**وما قيمة الفيلسوف – يقول دولوز- الذي نقول عنه لم يبدع مفهوما، لم يبدع مفهومه؟**" (غتاري، 1997، صفحة 31)إنه -بحسبه- جوهر الفلسفة وروحها التي لا يمكن الاستغناء عنها في عصر من العصور، إنه : "**صديق المفهوم، صديق المفهوم بالقوة**" (غتاري، 1997، صفحة 30)إنه صديق للحكمة وصادق في بحثه عن الحقيقة، وهو بذلك يحاول من خلالها إزاحة الصعوبات التي قد تواجه عصره وواقعه بشكل دقيق على – ما أسماه- مُسطّح المحايثةالمنفتح باستمرار، إنه المفهوم الذي لازمه إلى جانب مفهومي الصداقة والرأي :"**فلكي تولد الفلسفة كان لابد من التقاء بين الوسط الإغريقي ومسطّح من محايثة الفكر...كما كان على الانتشال الإقليمي المطلق لمسطّح الفكر أن يطابق أو يقترن مباشرة بالاستقرار الإقليمي النسبي للمجتمع الإغريقي.كان لابد من الالتقاء بالصديق ومن الالتقاء بالفكر. هناك باختصار سبب لنشأة الفلسفة لكنه سبب تركيبي واحتمالي، إنه التقاء ربط**" (غتاري، 1997، صفحة 107) وهو لا يتجاهل في كل ذلك ارتباط الفيلسوف بالموطن حيث يستسيغ أهمية كينونته التي لا فكاك منها لاقترانه بالفكر. وإيجازا للقول، فإن المفهوم -بحسب دولوز- هو ذلك الكل المركّب الذي يتولّد وفقا لمكوّناته في إطار المحيط والبيئة المعرفية التي ينشأ منها، وهو إلى جانب ذلك : "**يرفض التشبّث بالمفهوم باعتباره كلية شاملة خارج الإشكالات التي يتعرّض لها، لكن بالمقابل إذا كان بعضنا- بحسب دولوز- مايزال أفلاطونيا أو ديكارتيا أو كانطيا اليوم، فذلك لأنه يحق لنا أن نتصوّر أن مفاهيم أولئك الفلاسفة يمكنها أن تعود إلى فعاليتها داخل مشكلاتنا، كما يمكن أن نستوحي منها المفاهيم التي ينبغي إبداعها، على أن ذلك لا يعني عدم طرح تلك المفاهيم**

نفسها على النقد ونقد النقد، بذلك ينمو الجسم الفلسفي محافظا على وحدته من خلال تنوعه وباعثا أمنه الخاص في أزمان الأغيار، مكتسبا منها ما لا يستطيع أن يقدّمه بدون تدخّل أسئلة عنها." (غتاري، 1997، صفحة 12)وعليه يمكن القول إن مسألة إبداعية المفهوم في الفكر الغربي شكّلت منعطفا جديدا مع دولوز الذي عبّر عن ماهية الفلسفة من خلالها :**"لقد استطاع الغرب أن يكتشف هذه الإبداعية بعد أن تحرّر من سلطة المفارقة الغيبية وانخرط في تشكيل مدارات التحليق لمفاهيم الحداثة، ..وقد جرّب أرضيات كثيرة ليحط بحمله عليها، وانتكست حميّته تلك من أرضية إلى أخرى ووجد للإشكالات ترياق القطائع المعرفية"** (غتاري، 1997، صفحة 16)وهو ما يزال رغم كل تلك الجهود غير مقتنع بما قدّم، مواصلا مساراته نحو محاولات الإنتاج والإبداع الفلسفي في مختلف توجّهاته الفكرية، فيما لا يزال الفكر العربي يتخبّط في ظل ذبذبة مفاهيمية معقدة تتراوح بين مكتسبات الوافد وأصالة الموروث، مما أدخل الأمة في دائرة من الأزمة والتراجع بدلا من تحقيق بناء تراكمي ومعرفي جاد. فما طبيعة هذه الأزمة؟ وما خلفياتها؟..

3.5. أزمة المفهوم واشكالية توظيفه في الفكر العربي المعاصر: تعجّ المنظومة الفكرية العربية المعاصرة بمفاهيم ومصطلحات تتشابك فيما بينها أحيانا وتتداخل، كما قد تتباين وتختلف في أحيان أخرى من حيث التعرّف والتصوّر باختلاف منطلقاتها الإيديولوجية والمدارس الفكرية الصادرة عنها وبحسب ما يرد عنها من معطيات ذاتية أو موضوعية : **"فلقد بات الفكر العربي المعاصر يعاقر كل مدى حتى وإن لم يكن ذلك من أصول شواغله الموضوعية، فهو اليوم يعانق كل المشاريع ويدنو من كل المفاهيم ويغاير في كل تجريب، غير أن المشكلة الكبرى كونه ضحية تمثّلات تعوق واقعه ومتوقّعه، إنه يتعالى بالفكر حيث ..يتدنّى في الممارسة، لم ننتج حلولا من فكرنا لأنّنا لم ننتم بفكرنا للمكان، لم**

نمارس التفكير بهتك المفاهيم وإعادة بنائها على أسس ذلك الانتماء للموضوع، فكانت حيرتنا إزاء الواقع والمتوقع، فشلنا في نحت المفاهيم كما فشلنا في تكريس مشاريع النهضة، كما فشلنا في مقاربة المستقبل" (هاني، 2009، صفحة 11)ورغم خطورة الموقف ما تزال أغلب النخب العربية تعيش على وتيرة واحدة من التدافع والتنافس في مجال البحث عن إنتاج معرفي دون مراعاة لأدواته المفاهيمية، وتدبّر لقوانينها الاصطلاحية التي تضبط بها المعاني داخل مجلاّت المعرفة على اختلاف أنماطها: "**فاستغلّوا بذلك سلطة المفاهيم لتمرير أفكار لا ترتفع إلى قاعدة تلك المفاهيم نفسها، وربما وقفنا على ما بعد تلك المفاهيم، على مضامين ومقاصد كانت هي السبب في فساد الحياة الثقافية وواحدة من معيقات تطوّر الفكر ولطافة النظر في هذا المجال. لقد مارس المفكّرون العرب نقدهم في أحياز تبدأ بالمعرفة وتمرّ عبر مشاريع النهضة والتغيّر بلوغا إلى تفكر المستقبل، وفي كل حيّز من تلك الأحياز تركوا بصمات هذا الاستعمال المؤدلج لمفاهيم لم تأخذ نصيبها من الرسوخ في بنية ثقافية تجنح للتسطيح وسرعة النظر."** (هاني، 2009، صفحة 12) وفي ضوء هذا المشهد الملفت الذي يقع منه الباحث موقع الحيرة أمام منظومة فكرية؛ يتوزّع رُوّادها بين أنماط التهجير الاصطلاحي الذي أكّدته أغلب الترجمات العربية من جهة، وبين البحث عن مفاهيم تعكس وجهة نظر ممتدّة في الالتصاق بالتراث والانتماء لينحصر الفكر بذلك في: "..**معبر ضيّق بين ذاتية تراثية تحوّل التراث إلى قيمة مطلقة لا يقدر بها على التفاعل المباشر مع الحضارة القائمة، وحداثية تعلن بخطابها المعمّم بؤسها وإخفاقها في تحقيق المدنية"** (كيلاني، 1992، صفحة 113)وعلى إثر ذلك لن يصعب على متأمّل الفلسفة من داخل فضاء الفكر العربي المعاصر أن يستنتج بأن: "**المنظومة التواصلية في العلوم الإنسانية والاجتماعية تعرف خللا في الجهاز المصطلحي العربي، واختراقا في نسيجه المفاهيمي، فقد**

باتت ولادة المصطلح العربي رهينة بوجود المصطلح الغربي وأمسى تداوله وقفا على درجة تمكّن المتلقي العربي من المصطلح العربي ومفهومه، وهذا في واقع الأمر يفضي إلى طرح سؤال جوهري: هل ولادة المصطلح العربي مردّها إثارة حاجات أم إشباع حاجات؟" (دحو، 2011، صفحة 165)وهو - فيما نعتقد - سؤال واقعي يسعى لتجسيد أصل الأزمة المفاهيمية التي تُعرب عن خلل في توظيف مُعدّات الممارسة الفكرية من داخل المنظومة العربية، التي انشغلت عن أزمتها الحضارية بتحويل الفكر من فرصة لبناء ممارسة نقدية فاعلة تستغل لإنتاجها كل أطر وأسباب التلاقح والمثاقفة الإيجابية "كالترجمة"، إلى ساحة مكبّلة بالاضطراب والتشويش، ولعل : **"أخطر ما تعاني منه الترجمة العربية الراهنة للمفهوم الغربي.. هو اختزال المشكلة في طريقة الترجمة دون الإشارة إلى تحيّزاته، فكثير من المترجمين والنقاد العرب لا يؤمنون بتحيّز المفاهيم الغربية المترجمة، ويعتقدون بأن هذه المفاهيم كونية وعالمية متعالية عن الزمان والمكان.. الأمر الذي نتج عنه لدى البعض ما يمكن أن نسمّيه بالترجمة الحرفية الآلية لهذا المفهوم"** (صديقي، 2009)متجاهلين في ذلك السياق التاريخي والحضاري الذي نشأت فيه تلك المفاهيم والمصطلحات، والتي قد لا تتوافق في الكثير من الأحيان مع الخصوصية الثقافية العربية والإسلامية : **"هكذا استقبل الفضاء الثقافي العربي أمواجا من المصطلحات عبر أشكال الترجمة يغلب عليها عدم الاحترافية وقلّة الخبرة ممّا أوجد شروخا وتخالفا بين الفكرة الواحدة..وبينما استطاعت الكثير من المصطلحات أن تُزال في البلاد الغربية إلى أحياز التداول شبه العمومي، بات المصطلح عندنا سلطة قمعية محيطة بنفسه بهالة لا تملك مفاتيحها سوى نخبة النخبة، فيما قسم من المشتغلين في حقل المعرفة مازالوا لا يرون من جدوى المصطلح والمفهوم متى استنبت خارج بيئاتنا المصابة بالشلل الثقافي"** (هاني، 2009، صفحة 14) .

خاتمة

نجد من خلال ماسبق من تحليلات ومعلومات الكثير مما شجّع على القصور والعجز أُسدل من خلالهما حجاب الإبداع المتوخى من داخل منظومة الفكر العربي على مختلف توجهاته المعرفية. وعلى سبيل هذه الحقيقة، كان ولا بد الاشتغال على منطلقات منطقية ومنهجية للبحث، بمحاولة منّا لضبط مفاهيمها وأنساقها المعرفية لكسب قدرة كافية على تحمّل مسؤوليّة الأخذ بمختلف الرؤى النقدية التي تضاربت مفاهيمها وتباينت، وذلك من خلال الوصول إلى نتائج منطقية مرضية إلى حد ما، نأمل في عدم تناقضها ومقدمات للمعرفة المراد اكتسابها وإبلاغها.

المراجع

-ابن منظور محمد. (2009). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

-ابو الحسن الآمدي. (بلا تاريخ). *الإحكام في أصول الأحكام* (المجلد 74). بيروت: المكتب الإسلام للنشر.

أحمد أبو حسن. (1989). مدخل إلى علم المصطلح، ونقد النقد العربي الحديث. *مجلة الفكر العربي المعاصر، 60*.

-إدريس هاني. (2009). *ما وراء المفاهيم* (الإصدار 1). بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.

-الجابري عامر الزناتي. (30 06، 2010). إشكالية ترجمة المصطلح. *مجلة البحوث والدراسات القرآنية، 6/5* . ، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد 9 (نسخة إلكترونية) ص. 336،

https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-560902، اريخ الاسترداد 09 11، 2016

-الطاهر وعزيز. (1989). *(المفاهيم طبيعتها ووظيفتها)، أرشيف المجلات*. تاريخ الاسترداد 11 12، 2015، من https://archive.alsharekh.org/Articles/56/706/77370

-الطيب بوعزة. (16 07، 2015). *في دلالة إشكالية تعريف الفلسفة*. تاريخ الاسترداد 10 12، 2016، من http://aawsat.com/home/article/407286

-الطيب بوعزة. (25 10، 2017). *الفلسفة وصناعة المفاهيم، بين أزمة المعنى والانشغال بإنتاجه وتوليده*. تاريخ الاسترداد 14 05، 2015، من https://yara-elbeydawi.blogspot.com/2017/11/blog-post.html

-الطيب بوعزة. (20 6، 2020). *في مفهوم المفهوم ومحددات المقاربة المفاهيمية*. تاريخ الاسترداد 12 07، 2022، من مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث: https://mominoun.com/pdf1/2014-12/549be678a14a0465520591.pdf

-جميل صليبا. (1982). *المعجم الفلسفي*، (المجلد 2). بيروت: دار الكتاب اللبناني.

-زهير خويلدي. (01 07، 2007). *توقيع دولوز لمفهوم الفلسفة كإبداع*. تاريخ الاسترداد 12 10، 2015، من https://elaph.com/Web/ElaphLiterature/2007/5/237591.htm

-عبد الرحمان طه. (01 06، 1989). *المفهوم، أرشيف المجلات*. تاريخ الاسترداد 13 10، 2015، من https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/AL_Munadharah/alsana_1989/Issue_1/index.html

-عبد اللطيف كمال. (07 4، 2007). *تأصيل العلوم الإنسانية في الفكر العربي المعاصر الشروط المعرفية والتاريخية*. تاريخ الاسترداد 11 10، 2015، من http://www.aljabriabed.net/n18_02kamal.html

-علي صديقي. (31 03، 2009). *إشكالية ترجمة مفاهيم التفكيك في النقد العربي*. تاريخ الاسترداد 12 11، 2015، من معرفة،العربية والترجمة : https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-104420-%D8%A5%D8%B4%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%B1%D8%AC%D9%85%D8%A9-%D9%85%D9%81%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%81%D9%83%D9%8A%D9%83-deconstruction-lrm-

-فليكس،دولوز جيل و غتاري. (1997). *ماهي الفلسفة؟* (الإصدار 1). (مطاع صفدي، المترجمون) بيروت: مركز الإنماء القومي.

-لحسن دحو. (06، 2011). اغتراب المصطلح، أزمة مفهوم وتقريب هوية. *مجلة مقاليد*.

-*ماهية الفلسفة*. (10 10، 2013). تاريخ الاسترداد 24. 11، 2015، من بحوث ومقالات علميةوثقافية: http://vb.elmstba.com/t248890.html

-محمد مفتاح. (، 1999). *المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي* (الإصدار 1). بيروت: المركز الثقافي العربي.

-مصطفى كيلاني. (1992). *وجود نص، (نص الوجود)*. الدار التونسية للنشر.

-ناصيف نصار. (12 09، 2015). في ماهية الفلسفة وضرورتها. *مجلة المستقبل العربي*. مركز دراسات الوحدة العربية، نسخة إلكترونية، تم الاسترداد من ، https://www.google.com/search?q=.: file:///C:/Users/madani%202022/Pictures/%D9%85%D8%A7%D9%87%D9%8A%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9.pdf تم الاطّلاع: 12/09/2015/

-يعقوب بن إسحاق الكندي. (بلا تاريخ). *الفلسفة الأولى*. تاريخ الاسترداد 14 10، 2014، من https://dokumen.tips/documents/ 5572051d497959fc0b8b6540.html?page=1

- A . Rey, p., & Josette. (1985). *Petit dictionnaire de la langue francaise)le ROBERT*. france.

-A.Lalande. (1968). *vocabulaire technique de la philosophie.* Paris.

-Dubois, J. (2013). *Dictionnaire linguistique.* Larousse.

-Foulqiée, & Jean, P. (1962). *dictionnaire de la langue philosophique.* Paris.

-Langer, S. K. (1953). *Feeling and Form: a theory of art developed from Philosophy in a New Keyp.*